

الحلقة الثالثة
قصص خلفاء الراشدين

الْقِصَصُ الدِّينِيُّ

أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةُ الرَّسُولِ

عبد الحميد جودة السحار

١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا »

(فرقان كرم)

١

مات رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فاصبح
المسلمون بلا حاكم يحكمهم ، وكان في المدينة
المهاجرون الذين هاجروا مع النبي إلى المدينة لما اشتد
اضطهاد قريش للمسلمين ، والأَنْصار ، وهم سكان
المدينة ، الذين استقبلوا النبي ونصروه على أعدائه .
ودخل على بَنِي أَبِي طَالِب ، والعباسُ عمُ النبي ،
وأبو بكر الصديق دار الرسول ، يُفَسِّلُونَ النبي
قَبْلَ دَفْنِهِ ، وهم من المهاجرين الذين هاجروا مع النبي
إلى المدينة ، واجتمع رجالٌ من الأنصار في مكان
له سَقْفٌ من الخشب يُسَمَّى سَقِيفَةُ بَنِي سَاعِدَةَ
وراحوا يتحدَّثون في انتخاب حاكمٍ للمسلمين .

وجاء رجلٌ إلى مسجدِ الرُّسولِ ، فلَمَّا وجد
عمرَ بنَ الخطَّابِ واقفا هناك قال له :

- اجتمعَ الأنصارُ في سقيفةِ بني ساعدةٍ لمبايعةِ
سعدِ بنِ عُبَّادةٍ خليفةً للرُّسولِ الله .

فأرسلَ عمرُ إلى أبي بكرٍ الصِّديقِ ، وقال له :
- أخرجْ إلينا .

فلما خرج أبو بكر ، قال له عمر :
- أما علمتَ أنَّ الأنصارَ قد اجتمعوا في سقيفةِ
بني ساعدةٍ ، يُريدونَ أن يُوَكِّلُوا هذا الأمرَ سعدَ بنَ
عُبَّادةٍ ؟

فذهب أبو بكر وعمرُ وأبو عُبَيْدةُ بنُ الجراحِ ،
إلى سقيفةِ بني ساعدةٍ ، وبقيَ عليٌّ والعبَّاسُ وبعضُ
بني هاشمٍ ، وهم أقاربُ النَّبيِّ ، يشتغلون بإعدادِ
جهازِ النَّبيِّ ، وأحسنُ العبَّاسِ أنَّ في الأمرِ شيئا ،

وَأَنَّ النَّاسَ يَفْكُرُونَ فِيمَن يَخْلَفُ رَسُولَ اللَّهِ ،
فَالْتَفَتَ إِلَى عَلِيٍّ وَقَالَ :

- أَمَدُّ يَدِكَ أَبَايُكَ (أَيْ أَخْتَارُكَ خَلِيفَةً
لِرَسُولِ اللَّهِ) فَيَقُولُ النَّاسُ : عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ بَايَعَ
ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَا
يَخْتَلَفُ عَلَيْكَ اثْنَانِ .

فَقَالَ عَلِيٌّ فِي ثِقَةٍ :

- أَوْ يَطْمَعُ يَا عَمُّ فِيهَا طَامِعٌ غَيْرِي ؟
- سَتَعْلَمُ .

٢

اجْتَمَعَ الْأَنْصَارُ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ وَقَالُوا :
- نُوَلِّي هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ .

وجاموا بسعد بن عباد ، وكان مريضا ، فلما
اجتمع بهم ، قال لابنه :

- إني لا أقدرُ لشكواي (أي لمرضي) أن
أُسمعَ القومَ كلامي ، ولكن تَلَقَّ مِنِّي قَوْلِي
فَأُصِغْهُمْ .

وراح يتكلم ويحفظ ابنه قوله ، فيرفعُ صوته
ليسمعَ أصحابه :

- يا معشرَ الأنصار ، لكم سابقةٌ في الدين ،
وفضيلةٌ في الإسلام ، ليستَ لقبيلةٍ من العرب ،
أنَّ مُحَمَّدًا عليه السَّلامُ لَبِثَ بضعَ عشرةَ سنةً في
قومِهِ ، يدعوهم إلى عبادةِ الرحمن ، فما آمنَ به من
قومِهِ إلَّا رجالٌ قليل ، وما كانوا يقدِّرونَ على أن
يَمْنَعُوا (يَحْمُوا) رسولَ الله ، ولا أن يُعِزُّوا دينَهُ ،
ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيًّا (ظلمًا) ، حتَّى

إذا أراد بكم الفضيلة ، ساق إليكم الكرامة
وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به
وبرسوله ، والنعم له ولأصحابه ، والجهاد لأعدائه ،
حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ،
استبدوا بهذا الأمر .

وجاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح إلى
السقيفة ، فلما رآهم الأنصار ، قام رجل منهم وقال :
- نحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم
يا معشر المهاجرين رفق نبينا (قومه وقيلته) ،
وقد ظهر أنكم تريدون أن تتولوا الأمر دوننا .
إننا أحق بهذا الأمر منكم .

فقال أبو بكر الصديق :

- خص الله المهاجرين الأولين من قوم
الرَسُولِ بتصديقه والإيمان به ، والصبر معه على شدة

أَذَى قَوْمِهِمْ ، فَهَمُّ أَوَّلُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ،
وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ، وَهَمُّ أَوْلِيَائِهِ وَعَشِيرَتِهِ ،
وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَا يُنَازِعُهُمْ ذَلِكَ
إِلَّا ظَالِمٌ ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَنْ لَا يُنْكِرُ
فَضْلَهُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَا سَابِقَتَهُمُ الْعَظِيمَةَ فِي الْإِسْلَامِ ،
رَضِيَكُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا لِدِينِهِ وَرَسُولِهِ ، وَجَعَلَ إِلَيْكُمْ
هَجْرَتَهُ ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ عِنْدَنَا أَحَدٌ
بِعِزَّتِكُمْ ، فَتَحْنُ الْأَمَاءَ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، لَا تَقْضِي
دُونَكُمْ الْأُمُورَ .

فَقَالَ الْأَنْصَارُ :

- مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ .

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ :

- وَاللَّهِ لَا تَرْضَى الْعَرَبُ أَنْ يُؤْمَرُوا (أَيْ

يَجْعَلُوا الْحَاكِمَ مِنْكُمْ) وَنَبِيَّهَا مِنْ غَيْرِكُمْ ، وَلَكِنْ

العرب لا تمنع أن تولى أمرها من كانت النبوة
فيهم ، وولي أمورهم منهم ، ولنا بذلك على من
أبى من العرب الحجة الظاهرة .

فأبى بعض الأنصار ، فقال لهم أبو عبيدة بن
الجراح :

- يامعشر الأنصار ، إنكم أوّل من نصر
وآزر ، فلا تكونوا أوّل من بدّل وغير .

فقال أحد عقلاء الأنصار :

- يامعشر الأنصار ، إنا والله لئن كنّا أولى
فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الدين ،
ما أردنا به إلا رضى ربنا ، وطاعة نبيّنا ، فلا ينبغي
لنا أن نستطيل على الناس بذلك (أن تحكم في
الناس) ، ألا إن محمداً صلى الله عليه وسلّم
من قريش ، وقومه أحقُّ به وأولى ، وإثم الله

لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبدا ، فاتقوا الله
ولا تخالفوهم ، ولا تنازعوهم .

فقال أبو بكر ،

- هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأيهما شئتم
فبايعوا .

فقال عمر وأبو عبيدة :

- لا والله لا نتولّى هذا الأمر عليك ، فإنك
أفضل المهاجرين ، وثانى اثنين إذ هما فى الفار ،
وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل
دين المسلمين ، فمن ذا ينبغى له أن يتقدمك ،
أو يتولّى هذا الأمر عليك ، أبسط يدك نبايعك .
وبايع عمر وأبو عبيدة أبا بكر الصديق ، وقام
الأنصار وبايعوا أبا بكر .

ذهب أبو بكر وعمرُ إلى المسجد ، فالتفتَ عمرُ
إلى أبي بكرٍ وقال له :

- اصعدِ المنبر .

فلم يزل به حتى صعدَ المنبر وجلس ، وقام
عمرُ وقال :

- إن الله قد أتى فيكم كتابه الذي هدى
به رسول الله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله
لما كان هداهُ الله له ، وإن الله قد جمع أمركم على
خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه .

فتقدم الناسُ يبايعونَ أبا بكرٍ البيعةَ العامةَ ،
بعد بيعةِ السقيفة . ولما انتهى الناسُ من ذلك ،
قام أبو بكرٍ وقال :

- أيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِمُغَيِّرِكُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقُومُونِي .
 الصُّدُقُ أَمَانَةٌ ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ . وَالضَّعِيفُ مِنْكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُزْجِعَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الْحَقُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لَا يَدْعُ قَوْمُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرْبَهُمُ اللَّهُ بِالذِّكْرِ ، وَلَا يَشِيعُ فِي قَوْمٍ قَطُّ الْفَاحِشَةُ إِلَّا عَنْهُمْ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِنْ عَصَيْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ . قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ بِرَحْمَتِ اللَّهِ .

بَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، إِلَّا عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ ، فَقَدْ امْتَنَعُوا عَنِ الْبَيْعَةِ .

أقبل الليل ، واجتمع أنصارُ عليٍّ في الفضاء
المجاور للمسجد ، وقال رجلٌ منهم :

- إِنَّ عَلِيًّا أَحَقُّ النَّاسِ بِالْخِلَافَةِ ، فَعَلِينَا أَنْ
نُعِيدَ الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَنْ نَقْضَ شِعَةِ
السَّيْفَةِ (أَيْ نَهْدِمَ الشَّيْعَةَ) .

فَأَلَّ أَحَدُهُمْ :

- وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟

فَقَالَ قَائِلٌ :

- زَعَمُوا لِلْأَنْصَارِ أَنَّهُمْ أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُمْ .
مَا كَانَ مُحَمَّدٌ مِنْهُمْ ، فَأَعْطَوْهُمْهُمُ الْمَقَادَةَ ، وَسَلَّمُوا
إِلَيْهِمُ الْإِمَارَةَ ، فَإِذَا نَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِمَثَلِ مَا احْتَجُّوا
بِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ . عَلَى أَوْلَى بِرَسُولِ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتًا .
كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ ، وَزَوْجُ

ابنته فاطمة ، فإذا كان الأنصارُ قد قبلوا أن يُولّوا
أبا بكرٍ لأنّه من قبيلة الرّسول ، فإنّ عليّاً أقربُ
إلى الرّسول من الصّحابة الآخرين .. ورأى أصحابُ
عليٍّ أن يدخلوا بيتَ فاطمة ، وأن يرفُضوا تولّيّه
أبي بكرٍ خليفة للرّسول .

وظل عليٌّ وأصحابه في بيتِ فاطمة ، وجاء رجلٌ
من أنصاره وقال له :

- فوالله ما في الناس أحدٌ أولى بمقامِ محمّدٍ منك .

وبلغ أبا بكرٍ وعمرُ خبرَ اجتماعِ عليٍّ وأصحابه
بدارِ فاطمة ، فهض عُمرُ في جماعةٍ من المسلمين ،
واتّجه إلى دارِ فاطمة ، وقال :

- يا عليّ ، اخرج فبايع كما بايع الناس .

ورفض عليٌّ أن يخرجَ ليبايعَ أبا بكرٍ خليفةً
للمسلمين .

وجاء أبو سُفْيَان ، وهو من القُرَشِيِّين ، ولكنه
كَانَ من أعداء الرِّسُولِ قبل أن يُسَلِّمَ يوم فتح
مكة ، وقال لعليّ :

- أَبْطُ يَدَكَ أَبَايُكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْ شِئْتَ لَأَمْلَأْتُهَا
عَلَى أَبِي بَكْرٍ خَيْلًا وَرَجُلًا .

كَانَ يُحَرِّصُ عَلِيًّا عَلَى مُحَارَبَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَ
يُغَرِّبُهُ أَنْ يُعِدَّهُ بِالْخَيْلِ وَالرِّجَالِ . وَلَكِنْ عَلِيًّا
مَا كَانَ يَقْبَلُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَفْرُقُ جَمْعَ الْمُسْلِمِينَ .
فَقَالَ لِأَبِي سُفْيَان :

- طَالَمَا غَشِشْتَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ، فَاضْرَرَّتْهُمْ
شَيْئًا ، لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى خَيْلِكَ وَرَجُلِكَ .

ارفع صوتُ المؤذن :

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ
اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ
أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ
أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ

فأطرق على يَفْكَر ، فعرف أنه إذا خاصم
أبا بكر ، فستفرقُ المسلمون ويضعفوا ، وقد يقضى
ذلك على الإسلام ، ثم رفع رأسه وقال لزوجته
فاطمة بنت محمد رسول الله :

- أَتَجِيبِينَ أَنْ يَزُولَ هَذَا النِّدَاءُ مِنَ الْوُجُودِ ؟

قَالَ لَهُ زَوْجَتُهُ :

- لَا .

قَالَ لَهَا :

- إِذَنْ سَأُبَايِعُ أَبَا بَكْرٍ .

وخرج على لُبَايَعِ أَبَا بَكْرٍ ، حَتَّى يُحَافِظَ عَلَى
وَحْدَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَذَهَبَ إِلَى الْمَسْجِدِ . وَبَايَعَ
أَبَا بَكْرٍ ، ففَرَّخَ النَّاسُ بِذَلِكَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

- وَاللَّهِ مَا كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى الْإِمَارَةِ يَوْمًا
وَلَا لَيْلَةً ، وَلَا سَأَلْتُهَا اللَّهَ فِي سِرٍّ وَلَا عَلَانِيَةٍ .
وَاتَّفَقَتْ كَلِمَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَصْبَحَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ
خَلِيفَةُ الرَّسُولِ .